الاخلاق

خطاب للدكتور فريد افندي عبدالله في جمعية الشبان المسيحيين في مصر

الاخلاق اهم العوامل والقوى المحركة في العالم فهي التي تمثل في مجموعها الطبيعة الانسانية في احسن تقويم بل هي السبيل الوحيد الذي يرفع الانسانية لاعلى ذرى التقدم والكمال

لا عجب اذا رأينا ذوي المواهب العجيبة والاخلاق الراضية سبباً معاً في تقدم الامم الذين عاشوا بينهم فهم الذين يقودون خطوات الجنس البشري الى طريق الكمال ولا غرابة في ان يقلدهم الناس ويقتفوا خطواتهم

وكما ان شدة النباهة والذكاء توجب الاعجاب والاندهاش فكذلك الاخلاق القويمة توجب الاحترام فالاولى نتيجة قوة وعمل الدماغ والثانية نتيجة قوة وعمل القلب وفرق بين هذا وذاك فان القلب هو المتسلط على الحياة كما لا يخفى فرجال الفطنة والذكاء يقيدون الهيئة الاجتماعية بعلومهم واختراعاتهم ورجال الادب والاخلاق يقيدونها بحرية ضمائرهم وبينما يعجب الناس بالاولين فهم يتتبعون خطوات الآخرين

عظماء الرجال اصحاب المواهب النادرة نادر وجودهم اذ قلّ من تساعده الظروف والفرص ليظهر عظيماً ولكن كل انسان في الوجود يمكنه ان يتمم عمله بشرف وامانة . يمكنه ان يستعمل مواهبه الخصوصية ويعمل بكل قوته . يمكنه أن يجعل حياته شريفة وثمينة ومطلوبة . يمكنه ان يكون امينا في اصغر الاعمال واحقر الامور وبالاجمال يمكنه ان يتمم واجباته في اي مركز وضعته العناية فيه وبذلك يكون عظيماً . لم يخلق الانسان ليعيش لنفسه فقط بل لينفع الاخرين فكلامنا عليه واجب يؤديه سواء سمي ذلك الغني او الفقير التلميذ او المعلم الرئيس أو المرؤوس وما حياة الانسان الا مركز دائرة الواجبات العامة . قال سقراط ان كل انسان هو مركز لجملة دوائر مختلفة متداخلة بعضها ببعض تبتدىء الدائرة الاولى من الشخص نفسه ثم الى والديه وزوجته واولاده والدائرة الثانية ذوي قرباه وينتهي ذلك دائرة اهل الوطن واخيراً الجنس البشري اكله فترى من ذلك ان دائرة الواجب لا حد لها وهي موجودة في كل دور من ادوار الحياة وليس خاصة بالاغنياء فقط بل و بالفقراء ايضاً ومحتم على الانسان ان يقوم بتأدية الواجب المفروض عليه في جميع الاحوال والظروف في اي زمان أو في اي مكان . فالاهتمام بتأدية الواجب هو النقطة الاساسية للاعمال العظيمة المفيدة الموصلة لارقى حياة

مدنية ويجب أن يكون الواجب هو النجمة القطبية الواجب تحويل النظر اليها والاشتغال بها والامل فيها والموت من اجلها

وها كم مثلاً عن كيفية تأدية الواجب . جاء في التاريخ انه منذ الف وثمان مئة عام حصل هيجان في بركان فيزوف في بومبي وكان احد العساكر معيناً عليه الحراسة في نقطة مخصوصة مأموراً ان يلازمها ولا يتحول عنها فلما هاج البركان هرب كل السكان واما هو فبقي في مكانه لم ينتقل منه . كان حارساً بكل معنى الكلمة اختنق من الروائح الكبريتية المتصاعد من الحمم المتساقطة . غطي جسمه بالاتربة بل صار جسمه رماداً واما ذاكرته فكانت موجودة تحته على وجوب تأدية الواجب ولا يزال درعه وخوذته وآلاته الحربية موجودة حتى الان في متحف بربونيكو تذكر كل من يراها بامانة هذا الجندي الشجاع وكيف هلك في سبيل تأدية الواجب

وأحسن شكل من اشكال تأدية الواجب هو ما يعمله الانسان للآخرين كما يعمل لنفسه بكل وداعة وانضاع . قال القديس أغسطينوس اتريد ان تكون عظيماً فابدأ اولاً بأن تكون صغيراً . علم نفسك الانضاع فهو اساس العظمة الحقيقية فاذا اردت ان يكون بناؤك عالياً ومتيناً يجب حتماً ان يكون الاساس اكثر عمقاً وغوراً . وحقيقة فان الانضاع هو تاج الجمال واساس الفضيلة

فاحسن الواجب ما عمل بالانضاع وسراً بعيداً عن الانظار فهناك في تلك الزاوية المختفية التي لا يراها احد تعمل الفضيلة عملها بشرف وفخار . ان الفضيلة الحقيقية لا تعلن عن نفسها وتزيد قيمتها بمقدار نفعها . واما اهمال الواجب او التقصير فيه فهو دين على الانسان تطالبه الانسانية به اما في الحال او الاستقبال

وهاك قصة تاريخية اخرى تبين لنا كيفية تأدية الواجب . يقال انه من قرن او يزيد حصل كسوف في الشمس عظيم في امريكا اظلم الجو وحصل رعب شديد كأنه قد اتت الساعة وكان ذلك اثناء انعقاد جلسة من جلسات المحكمة فاوقفت الجلسة عند اشتداد الظلمة وحصل هرج ومرج شديدان وذلك لانتشار الخزعبلات والخرافات في الوقت فقام احد القضاة المحلفين واسمه وافينورت وقال انه يجب الاستمرار على العمل ولو انطبقت السماء على الارض وكان هذا اليوم آخر ايام العالم فيجب على الانسان ان يلاقي ربه وهو قائم باداء الواجب وامر باحضار الشموع واضأة المكان والاستمرار على العمل وكان له ما اراد

ويحكى ايضاً عن شخص ضعيف البنية ضئيل الجسم كان مخصصاً جزءاً كبيراً من وقته للاعمال الخيرية كعيادة المرضى وزيارة البائسين ومواساتهم فكان يجلس في بيوتهم القذرة وبجوار اسرتهم الوسخة ويعالجهم ويساعدهم بكل ما في استطاعته وكثيراً ما انتقده اصدقاؤه على صرفه وقته سدى مثل هذه الاعمال وهددوه بالعدوى من زيارة المرضى والمصابين ولكنه كان يجيب بكل حزم وبساطة مع بساطة متناهية نعم يجب ان اهتم بشغلي وعائلتي ولكني من الجهة الاخرى مطالب بتأدية الواجب الذي تفرضه علي الانسانية بصفتي انسان فليس الذي يهب امواله ويتصدق على الفقراء هو عامل الخير فقط بل هو الذي يهب حياته ويفرق بين من يهب ماله ومن يهب حياته فالاول ربما ينسى ويزول ذكره واما الثاني فذكره يدوم الى الابد وما يزرعه لا يموت

فتأدية الواجب ايها السادة من اهم الاخلاق التي يجب ان يتحلى بها الانسان . قال الدكتور ايوط عند ما رثى صديقه توماس سا كفيل انه لا يعجب به بالنسبة لوجاهته أو لمواهبه النادرة المثال بل هو يعجب باخلاقه الشريفة يعجب من معرفته الواجب نحو المحيطين به المرتبطين معه في اشغاله اليومية وقال من كان مثله محباً لامرأته او اكثر شفقة نحو اولاده أو اسرع منه في تلبية نداء اصحابه ومساعدتهم أو ابين منه محبة في معاملة اعدائه او اصدق منه في اقواله . وحقيقة فان اخلاق المرء تكون اكثر ظهوراً في معاملته الخصوصية نحو أقرب الناس اليه والذين يتعاطى معهم اعماله اليومية اكثر مما تظهر منه بصفته مؤلفاً أو خطيباً او سياسياً

ومتى تمم الانسان الواجب المفروض عليه تمم الغاية التي خلق لاجلها فهو اساس الاخلاق والرجولية الحقيقية زد على ذلك ان معرفة الواجب تساعد الانسان مهما كانت درجته في الهيئة الاجتماعية على تحمل الاتعاب والمشاق على العمل . كثيرون لا يملكون شيئاً سوى اخلاقهم ومع ذلك فيكون الواحد منهم كأنه ملك متوج ولا تظنوا ان العلم وحده يحسن الاخلاق فكثيراً ما نرى النباهة والعلم والفلسفة عند احط الناس أخلاقاً والفضيلة وشرف النفس والصدق ومعرفة القيام بالواجب عند احقر فلاح

كتب المستر بوتس مرة لاحد اصدقائه انك تهتم كثيراً بمباحث الكتاب وتحترم العلماء وانا اوافقك على ذلك ولكن في الوقت نفسه لا تنس ان عظمة العقل وسمو الفكر واختبار احوال العالم : وحسن السيرة والسريرة ومحبة الصدق والامانة كل هذه ربما كا

تنقص أرقى العلماء والمتعلمين

وقال جورج هربرت ان قبضة من حياة صالحة خير من اردب تعليم . وذكر بعضهم على مسمع من السير ولتر سكوت الكاتب العالم المشهور الاعمال العظيمة التي يأتيها العلماء والكتاب والفوائد الاجتماعية التي يجنيها العالم من اقوالهم وافكارهم واخذ يطنب فيهم حتى رفعهم الى الجوزاء وجعلهم في مصاف الالهة فقال السير سكوت ساعدنا الله كم يكون العالم في غاية المهانة والفقر لو كانت هذه الاراء صحيحة . ثم قال طالعت الكثير من الكتب وحادثت الكثيرين من العلماء ومن حازوا درجة عظيمة من الشهرة بما فيه الكفاية ولكني اؤكد اني سمعت من افواه العامة الغير المتعلمين ما يذري باقوال العلماء وما يدل على شعور ارقى مما هو موجود عند اولئك الفلاسفة الادباء . سمعتهم وهم يتحدثون عن مصاعبهم ومصائبهم بافكارهم البسيطة وكيف يقابلونها ويتخلصون منها بثبات وحزم عجيبين

فتحسين الاخلاق اهم من جمع الثروة . فان الثروة متى كانت في يد فاسدي الاخلاق ضعيفي الارادة مهما كانوا متعلمين هي فقط مصدر تجارب لهم وتكون سبباً في تلف انفسهم واضرار غيرهم وبالعكس الفقر مع حسن الخلق فقد يكون الرجل فقيراً لا يملك شيئاً من دنياه سوى حرفته واقتصاده وصحته واستقامته ومع ذلك يكون في الدرجة الاولى من الرجولية

يحكى عن رب عائلة كان لا يزيد ايراده الشهري عن جنيهين فقط في الشهر ولكنه كان في حالة يغبطه عليها الكثيرون . كان رجلاً مفكراً مملوءاً حكمة ربى أولاده تربية حسنة ولو انها بسيطة كان سعيداً في معيشته وكانت كتبخانته مؤلفة فقط من الكتاب المقدس وكتاب فلافل ويوسطون وهي كتب ربما لا يعلم الناس عنها شيئاً ومع ذلك فمثل هذا الرجل يحق له ان توضع صورته بجوار اعاظم الرجال فقد قضى حياته بين المعمل والمبد وانتهى اخيراً للراحة الابدية ولكنه خلف الذكر الحسن والاجتهاد وقوة الاعتماد على النفس والقيام بالواجب وهي أمور يغبطه عليها الكثيرون ممن هم اعظم واغنى منه

ومات لوثير فقيراً معدماً لم يترك ثروة ولا مالاً فقد كان فقيراً جداً وامضى جزءاً كبيراً من حياته في تفليح الارض وخدمة البساتين وتصليح الساعات ولكنه بينما كان يعمل بيده ليعيش كان من الجهة الاخرى يعمل لتغيير اخلاق اهل وطنه . كان اعظم واقوى ادباً من اعظم عظيم من امراء جرمانيا بل كان اقوى منهم جميعاً وهكذا صار له نفوذ عظيم واكرام وتأثير ومكانة واتباع كثيرون . فالاخلاق الحسنة هي ثروة

بل هي اشرف واحسن ثروة يقتنيها الانسان . نعم قد لا يكون اصحابها اغنياء مادياً ولكنهم ادبياً ويعدون من ارفع طبقات العالم وهذا اعظم ربح واحسن مكانة لهم

قال السير بنيامين روديارد ليس المطلوب من الانسان ان يكون غنياً او عالماً بل ان يكون حسن الخلق شريف الغاية ويجب ان تكون مخابئه الجيدة مؤسسة عَلَى مبادىء صحيحة غير مغايرة للحق والاستقامة والصلاح فان المبادىء الادبية كما قال هيوم هي التي توجد قسماً من الجنس البشري لنشر الفضائل ومقاومة الرذائل

لا يمكن الاعتماد عَلَى قوة العلم والادراك لترقية الهيئة الاجتماعية الا اذا اسسا عَلَى دعائم قوية مثل الصدق والامانة وشرف النفس وعلو الهمة وعَلَى هذه الاخلاق لا غير يتوقف احترام الناس وثقتهم وخصوصاً الصدق فهو سيد الاخلاق . فهو تذكرة المرور أو بسا بورت الثقة والاحترام العام

ليس العلم او العقل هو الذي يظهر في اعمال الانسان اليومية بل الاخلاق والصلاح . هو القلب الذي يظهر وليس العقل . ليس اظهر من الاحساسات الشريفة ولا افضل منها في اعمالنا الخاصة والعامة

قيل عن الشريف شربدان انه كان عَلَى درجة سامية جداً من العلم والفطنة والذكاء وانما كان ينقصه قوة الاعتماد عَلَى النفس . كان ضعيف الارادة منهمكاً في اللذات ولما عاش بدون ان يظهر له فضل أو يكون له تأثير في حياته العمومية أو الخصوصية حتى ان دليبني المضحك الذي كان خادماً عنده شعر في نفسه بانه افضل منه مع فقره . يحكى عن دليبني هذا وبع مرة صراف الخزينة لتأخره عن صرف ماهيته وضايقه كثيراً وكان ذلك بحضور شربدان فانتهره شربدان بحدة وقال له انك تجاوزت الادب ونسيت مركزك فاجابه دليبني لا يا موسيو شربدان انا لم انس مركزي واعلم جيداً الفرق بيننا فانت من عائلة شريفة وأحسن وافضل مني في كل شيء واما في الحياة والاخلاق فلا اني افضل منك مع فقري

فالتربية والتهذيب لها تأثير شديد في مستقبل الحياة فبحسب نوع التربية اما ان ينحط الانسان الى اسفل الدركات او انه يسمو الى ارقى الدرجات وكما ان كل شيء في الوجود له ظل معا كان صغيراً فكذلك الاخلاق والتربية سواء كانت رديئة او فاضلة لا بد لها من نتيجة حسنة او سيئة

قال بعض الحكماء لا يجب ان يكون الانسان مخلوق الظروف . بالعكس يجب ان يكون هو موجد الظروف والتربية والاخلاق هي التي تبني الظروف وتوجدها فمثلاً من مواد البناء الواحدة وهي الطوب والطين يبني الانسان السرايات الفخيمة والدور المناسبة والاكواخ الحقيرة فالمادة واحدة وهي طوب وطين لم تتغير ولكن في قدرة المهندس او البنّاء ان يحولها الى شيء وشكل آخر وهكذا الحال في العائلات نجد احد الافراد يتقدم وينمو في الفضيلة مهما قابله من الصعوبات والآخر مذبذب الفكر كثير السقوط عند اقل مقاومة او صعوبة فكان الصخرة التي تصادف ضعيف الارادة فتعيقه عن التقدم تكون هي ذاتها الحجر الاساسي او نقطة الارتكاز التي يرتكز عليها قوى الارادة للرقي والصعود . فالانسان بما له من حرية الارادة يمكنه ان يسدد خطواته نحو الطريق المتجه للخير لا للشر . قال القديس برنارد انه لا شيء يسوئني في العالم لا نفسي واذا كنت اتالم حقيقة فانما اتألم من غلطاتي وخطائي للخطاب بقية

الصحافيات في باريس

كل مطلع على تاريخ اليونان يذكر حالة غريبة اجتازتها المرأة وهي ان من النساء من تخاصن من حالتهن ومركزهن الطبيعي وهو الامومة وصرن حرات في عيشتهن وكن يدعين " الهتيرات " ذلك لان المرأة اشتغلت بما للرجل وداست الزيجة

وكأن المدنية الحديثة صائرة الى الوراء فلم يكف فرنسا ان رجالها امتنعوا عن الزواج حتى قام نساؤها واردن ان يمثلن حالة اليونان تماماً وحصرن جهدهن في الاشتغال بالعلم والشؤون الاجتماعية العمومية وهذا هو ما حصل عند اليونان قديماً

تنقسم المشتغلات في باريس بالشؤون العمومية الى قسمين : قسم يريد التسلية وحب الظهور فقط . وقسم لتحصيل المعاش وتكاد اشغالهن تنحصر في